Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



حياة مترفة أدنته من حياة الملوك ؛ إذ كان يأكل ويشرب فى صحاف الذهب والفضة .

وواضح — كذلك — من تلك النشأة وهذا الارتباط ببلاطى آل المنذر وآل غسان أنه أسلم جزءا كبيراً من حريته الشخصية لما يفرضه عليه مقامه فى قصور الملوك من الالتزام بخلق معين ، والوقوف بشعره عند حد معين ، حمله يدور فى محور من يكنفه منهم ويرعاه ، لايتجاوزه إلى غيره ، فلا يرى غير ما يدور فى محيطه الملكى ، ولايحس إلا بما يحدث هناك .

ومن ثم ينظر الدارس فى شعره فيجد لايكاد يتجاوز الحديث عن بنى المنذر وبنى غسان ، مدحا أو رثاء أو اعتذارا .

ومن ينظر فى شعر النابغة يلمس أثر هذا الوسط المتحضر المترف فى شعره .

إذ يجد نفسه أمام شاعر يدرك أثر الكلمة فى سامعيه ، فهو لذلك حريص أشد الحرص على انتقاء عباراته وألفاظه بما لايعطى فرصة لطاعن ، يتقرب إلى النعمان على حساب النابغة .

ويلاحظ أنه مع شاعر لايقول كل ما يفد على خاطره ، بل هو المتحفظ الذى يتروى فى إبراز أفكاره ومعانيه ، وما يزال وراءها بالصقل ومعاودة النظر ، حتى تستقيم له العبارة ، ويصح المعنى ، ويتسق مع متطلبات بيئته .

ويدرك أنه يعايش شاعرا جعل من شعره وسيلة لتحقيق مآربه الفردية أو القبلية فشعره مصنوع بما فيه من مدائح ومراثى واعتذاريات ، إذ قلما تجد فيها تعبيرا دانيا عن حس صادق أو شعور أصيل ، فدور العقر فيه أوضح من دور العاطفة ، وهذا لاشك أحد آثار البيئة الحضارية المترفة التى قضى فيها جل سنى عمره ، والتى سلختة عن الفطرة العربية الخالصة ، ونأت به عن البيئة البدوية بأخلاقياتها وقيمها .

ونظرة إلى مدائحه التى خلعها على الملوك المتوجين فى الحيرة والشام تحملك تقطع بأنه شاعر أجاد الصنعة ، وبرع فى الوقوع من القوم على ما يرضى غرورهم ويستجيب لمفاخرهم ؛ وذلك بحشد طائفة من الصفات العامة وتحليتها ببعض الخصوصيات ، فتبدو كأنها جميعا حلية يختصهم بها من دون غيرهم .

مثال : ذلك بائيته التى قالها فى مدح عمرو بن الحارث الغسانى وآبائه ؛ فقد بدأها